Visiting Graves: Its Legitimacy and Evidence in Islam

Shahida Bozorgi[1]
Instructor at Al-Mustafa International University

Abstract

The practice of visiting graves represents a subject of extensive scholarly attention within Islamic thought, being integrally connected to both the spiritual and devotional aspects of Muslim life, as well as to its social and cultural dimensions. While no explicit Qur'anic text either commands or prohibits the practice, Prophetic traditions, the established practice of the Companions and their Successors, and scholarly consensus have collectively established its religious legitimacy. This research aims to examine grave visitation from its multiple facets: linguistic, Qur'anic, tradition-based (Hadith), jurisprudential (Fiqh), and intellectual, while also conducting a comparative analysis of the perspectives across Islamic schools of law and highlighting the educational and social dimensions of this practice. Furthermore, the study seeks to provide a balanced academic treatment, synthesizing transmitted textual evidence with rational argumentation, to demonstrate that when conducted in accordance with prescribed legal guidelines, visiting graves constitutes a confirmed tradition (Sunnah) that fulfills profound spiritual and educational objectives.

Keywords: Visitation, Graves, Legitimacy, Evidence, Islam, Spiritual Aspect, Devotional Aspect.

[1] kosar606@yahoo.com

زيارة القبور: مشروعيتها ودلائلها في الإسلام

شهيده بزرجى[1]
استاذة في جامعة المصطفى العالمية

المستلخص

تُعَدّ زيارة القبور من الموضوعات التي حظيت باهتمام واسع في الفكر الإسلامي، إذ ارتبطت بالجانب الروحي والتعبدي من حياة المسلمين، وبالبعد الاجتماعي والثقافي في آنٍ واحد. ورغم عدم وجود نص قرآني صريح يأمر بها أو ينهاها، إلّا أنّ الروايات النبوية وسيرة الصحابة والتابعين والعلماء قد أسست لمشروعية هذه الممارسة. يهدف هذا البحث إلى دراسة زيارة القبور من مختلف جوانبها: اللغوية، القرآنية، الحديثية، الفقهية، والفكرية، مع مقارنة بين آراء المذاهب الإسلامية وإبراز الأبعاد التربوية والاجتماعية لهذه الممارسة. كما يسعى البحث إلى تقديم معالجة علمية متوازنة، تجمع بين الأدلة النقلية والعقلية، لتوضيح أن زيارة القبور ـ متى ما التزمت بالضوابط الشرعية ـ تُعَدّ من السنن المؤكدة التي تحقق غايات روحية وتربوية عميقة.

الكلمات الرئيسية: زيارة، قبور، مشروعية، دليل، اسلام، الجانب الروحي، الجانب التعبدي.

---

[1] . kosar606@yahoo.com

المقدمة

منذ العصور الأولى للإسلام، شغلت مسألة زيارة القبور مساحة معتبرة في النقاشات الفقهية والفكرية، بين مؤيد يراها سُنّة نبوية مشروعة، ومعارض يعتبر بعض صورها بدعة قد تفضي إلى الغلو أو الشرك. وقد ارتبطت هذه المسألة ارتباطًا وثيقًا بفهم النصوص الدينية وبمناهج التعامل مع السنّة النبوية. إنّ دراسة هذه المسألة لا تقتصر على البحث الفقهي الضيق، بل تمتد لتشمل أبعادًا عقائدية واجتماعية ونفسية، نظرًا لما للقبور وزيارتها من دور في ترسيخ معاني الموت والآخرة، وتعميق الارتباط بالأنبياء والأولياء والصالحين، وتذكير الإنسان بحقيقة فنائه وضرورة استعداده ليوم الحساب.

وعليه، فإنّ هذا البحث يتناول مشروعية زيارة القبور ودلائلها في الإسلام، مستعرضًا النصوص القرآنية ذات الصلة، والأحاديث النبوية، وأقوال العلماء من مختلف المذاهب، مع التوقف عند الاعتراضات المثارة حولها، والردود التي قدّمها الفقهاء والمفكرون المسلمون. كما يحاول البحث أن يبرز الأبعاد التربوية والاجتماعية والفلسفية لزيارة القبور، باعتبارها ممارسة دينية ذات أثر عميق في تهذيب النفس وتزكية الروح.

المفاهيم والمصطلحات

تُشكّل المفاهيم أساسًا لفهم أي قضية علمية، ومن هنا فإنّ الوقوف عند معنى "الزيارة" في اللغة والاصطلاح أمر ضروري قبل الخوض في التفاصيل.

المعنى اللغوي

كلمة "زيارة" مشتقة من الجذر "زَوَر"، وهو يدل في أصله على الميل والانصراف عن الشيء إلى غيره. ومنه قيل: "زائر" لأنه يُعرض بوجهه عن سائر الناس متوجهًا إلى المزور. قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: «الزاي والواو والراء أصلٌ صحيح يدلّ على الميل، ومنه الزور في الكلام، والزائر لأنه مال بوجهه إلى المزور». (ابن فارس، ١٩٧٩، ص ٤٧٦).

المعنى الاصطلاحي

عرّف الطريحي الزيارة بأنها "القصد"، ويفسّر الدعاء الوارد في بعض الأدعية: اللهم اجعلني من زوّارك بمعنى «من القاصدين إليك، الملتجئين بك». ويضيف أنّ الزيارة في العرف تعني «قصد المزور لإكرامه وتعظيمه وطلب الأنس به». (الطريحي، ١٣٧٥هـ ش، ج٢، ص ٢١٤).

المعنى الشرعي

في الاصطلاح الشرعي، تُطلَق الزيارة على التوجّه إلى قبور الأنبياء والأولياء وسائر المؤمنين، بقصد السلام عليهم والدعاء لهم، وطلب العظة والاعتبار من مشهد القبور. وقد جرى استعمال هذا

المصطلح في روايات نبوية عديدة، مثل قوله (ص): «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها». (صحيح مسلم، ١٣٣٤ق، ج٣، ص ٦٥).

أهمية المفهوم

إذن فالزيارة تتضمن عنصرين أساسيين: الأول "القصد" وهو نية التوجّه، والثاني "التواصل الروحي" المتمثل في السلام والدعاء والاعتبار. وهذا ما يميزها عن غيرها من الأفعال العادية، فهي عبادة لها دلالاتها الشرعية والروحية.

زيارة القبور في القرآن الكريم

رغم أنّ القرآن الكريم لم يرد فيه نص صريح يأمر المسلمين بزيارة القبور أو ينهى عنها، إلّا أنّ المفسرين والفقهاء استنبطوا من بعض الآيات إشارات ضمنية على جوازها، بل استحبابها، خصوصًا عند ربطها بمقاصد شرعية كالعظة والعبرة والدعاء للميت.

الآية الأولى: النهي عن المنافقين (التوبة: ٨٤)

قال تعالى: «وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ». تدل هذه الآية على نهي النبي ﷺ عن الصلاة على جنازة المنافقين، وعن الوقوف على قبورهم. ومن خلال مفهوم المخالفة، يرى المفسرون أنّ هذا النهي الخاص يدل على جواز الوقوف على قبور المؤمنين، بل رجحانه، إذ لو كان الوقوف على القبور محرمًا على الإطلاق، لما خصص الله النهي بالمنافقين (القرطبي، ٢٠٠٦، ج٨، ص ٢١١).

الآية الثانية: المجيء إلى الرسول (النساء: ٦٤)

قال تعالى: « ...وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا » و قدذهب عدد من العلماء، منهم الامام السبكى، الى ان هذه الآيه لاتقتصر على حياه النبى(ص)، بل تشمل ايضا الاتيان الى قبره بعد وفاته، و طلب الاستغفار عنده(السبكى، ١٩٩٢، ص ٨) و من هنا نشا تقليد زياره قبرالنبى(ص) فى المدينه المنوره، باعتبارها من القربات العظيمه.

آيات اخرى ذات صله

هناک آيات اخرى استدل بها استئناسا، مثل قوله تعالى: «الهاكم التكاثر...» (التكاثر: ٢-١). فرغم ان المفسرين ذكروا ان معنى "زياره المقابر" يحمل اشعارا بجواز زياره القبور فى الدنيا للعظه و الاعتبار. (الزمخشرى، ١٩٨٧، ج ۴، ص ٧٩٢)

زيارة القبور في الأحاديث النبوية

الأحاديث النبوية تمثل المصدر الأساسي بعد القرآن الكريم لفهم مشروعية زيارة القبور، وقد وردت عدة أحاديث تفيد استحباب هذا الفعل وفضله، مع توضيح الضوابط الشرعية له.

الأحاديث الصحيحة

ورد في صحيح مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها، فإنها تذكركم الآخرة». (صحيح مسلم،١٣٣٤ق، ج٣، ص٦٥). وهذا الحديث يوضح أن زيارة القبور ليست فقط مباحة، بل فيها فضيلة تربوية وهي تذكير بالموت واليوم الآخر. كما ورد في حديث آخر عن النبي ﷺ أنه قال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وآتاكم ما توعدون غدًا مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد». (صحيح مسلم، ١٣٣٤ق، ج٣، ص٦٣).

وهذا الحديث يبين طريقة التوجه للقبور، والتمني للميت بالرحمة والمغفرة، وهو دليل عملي على مشروعية الزيارة مع الدعاء للمتوفين.

زيارة النساء للقبور

ورد في بعض الروايات عن السيدة عائشة رضي الله عنها، أنها كانت تزور القبور وتبكي عندها، وكانت تعلم النساء كيفية الدعاء للميت وطلب المغفرة له، وهو ما يدل على أن الإسلام لم يمنع النساء من هذه الزيارة. (الطبري، ١٣٨٧ق، ج٧، ص ١٣٤).

كما ورد عن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام زيارتها لقبر حمزة بن عبد المطلب وشهداء أحد، وهو دليل على أن زيارة القبور كانت ممارسة مقبولة حتى بين أفراد الأسرة النبوية. (الطريحي، ١٣٧٥، ج٢، ص ٢٢٠).

التحليل الفقهي للأحاديث

فقهاء المسلمين اختلفوا في بعض تفاصيل الزيارة، لكنهم اتفقوا على مشروعية الوقوف على قبور المؤمنين والدعاء لهم. ابن تيمية رأى أن الأعمال مثل السفر خصيصًا لزيارة القبور للمتعة أو التعظيم تعد بدعة، لكنه لم ينكر مشروعية الدعاء للميت عند القبر. (ابن تيمية، ١٤٢٥ق، ج٢٥، ص١٩٨). النووي والشافعية أكدوا استحباب زيارة القبور للرجال، مستندين إلى إجماع الصحابة والأحاديث الصحيحة (النووي، ١٩٩٦م، ج٣، ص١٠٢).

الحنابلة، من خلال شمس الدين المقدسي، أكدوا أن زيارة القبور عامة للرجال والنساء، وقراءتهم للقرآن على الموتى تعتبر سنة مؤكدة (تحفة الأحوذي، ١٤١٠، ج٢، ص٨٨).

أقوال الصحابة والتابعين

سيرة الصحابة

الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يزورون القبور لأغراض متعددة:

- التذكر والاعتبار بالموت والآخرة.
- الدعاء للميت والمطالبة له بالمغفرة.

- تعليم المسلمين والنساء كيفية زيارة القبور.

فعلى سبيل المثال، ذكر أن عمرعنه كان يزور القبور ويقول: «تذكّروا الموت قبل أن يذكركم». (ابن عبد البر، ١٩٩٣م، ج٤، ص٣٠١).

سلوك التابعين

التابعون، مثل محمد بن مسلم، نقلوا عن الإمام الصادق عليه السلام تعليمات مفصلة حول زيارة القبور، بما في ذلك ما يُقال عند الدخول إليها: « قل: اللهم جاف الأرض عن جنوبهم، وصاعد إليك أرواحهم، ولقهم منك رضوانًا، وأسكن إليهم من رحمتك ما يستأنس به وحشتهم». (شيخ صدوق، ١٣٦٣، ج١، ص١٨١). وهذا يوضح الاهتمام بالدعاء والرحمة، ويؤكد على البعد الروحي والتربوي للزيارة.

التحليل الفقهي عند علماء السنة والشيعة

علماء السنة

أحمد بن حنبل: أوصى بقراءة الفاتحة والمعوذتين عند زيارة المقابر (ابن حنبل،١٩٦٩م، ج٣، ص٢٠١). النووي: أكد على إجماع الشافعية على استحباب زيارة القبور للرجال، مع الدعاء للميت (النووى، ١٩٩٦م، ج٣، ص١٠٢).

علماء الشيعة

الطريحي: «شدد على أن زيارة القبور فيها إحياء للذكرى الدينية والتربية الروحية، وأن الدعاء للميت واجب ومشروع». (الطريحي، ١٣٧٥ه ش، ج٢، ص١٨٩). الإمام الصادق عليه السلام: «أوصى بأن يُعلم الناس كيفية زيارة القبور، بما في ذلك الدعاء والتضرع، موضحًا أثر الزيارة في تهدئة النفس وتخفيف وحشة الموتى». (شيخ صدوق، ١٣٦٣، ج١، ص١٨١).

مقارنة بين المذاهب

بين علماء السنة والشيعة اتفاق على:

- مشروعية زيارة القبور للرجال والنساء.
- أهمية الدعاء للميت وقراءة القرآن.
- قيمة الزيارة كذكرى للموتى وللآخرة.

اختلفوا فقط في بعض التفاصيل المتعلقة بالغاية من السفر خصيصًا للزيارة أو أداء طقوس معينة قد تعتبر بدعة عند بعض الفقهاء.

الأبعاد الاجتماعية والتربوية والفلسفية لزيارة القبور

زيارة القبور ليست مجرد فعل عبادي منفرد، بل تحمل أبعادًا واسعة في الحياة الاجتماعية والنفسية للفرد والمجتمع، وهي تتقاطع مع الفلسفة الأخلاقية والتربوية في الإسلام.

البعد الاجتماعي

تعزيز الروابط الاجتماعية: زيارة القبور تجمع الأقارب والجيران، وتعمل على تذكيرهم بالروابط العائلية والإنسانية، وهو ما يرسخ مفهوم المسؤولية الاجتماعية والتراحم.

إحياء التراث الديني والثقافي: المقابر التاريخية، مثل البقيع ومسجد النبي ﷺ، تحمل ذكرى الصحابة والأولياء، وزيارتها تساعد في نقل التاريخ الديني للأجيال الجديدة. دورها في التضامن المجتمعي: خلال زيارة القبور في المناسبات، يقوم الناس بمساعدة بعضهم، مثل تنظيف القبور أو تزيينها، مما يعزز روح التعاون والتكافل.

البعد التربوي

تربية الوعي بالموت: يذكر الإنسان بحدود الحياة الدنيا وحقيقة الفناء، وهو ما يعزز الالتزام الديني والتفكير في الآخرة.

تنمية الرحمة والتعاطف: الدعاء للميت وتخفيف وحشته، كما ورد في أحاديث الإمام الصادق عليه السلام، يغرس في النفس معاني الرحمة والتقدير للآخرين.الاستفادة من القدوة الصالحة: زيارة قبور الأنبياء والأولياء والصالحين توفر نموذجًا عمليًا للتمسك بالقيم الدينية والأخلاقية.

البعد الفلسفي لزيارة القبور

زيارة القبور تحمل معانٍ فلسفية عميقة، حيث تتجاوز كونها مجرد عبادة أو عادة اجتماعية لتصبح أداة للتفكر الروحي والوجودي:

١. التأمل في حقيقة الموت والوجود

المقبرة هي رمز لفناء الحياة الدنيا، ووقوف الإنسان عند القبور يجعله يتأمل حقيقة وجوده ومصيره النهائي. يرى الفلاسفة المسلمون مثل الغزالي والرازي أن التفكر في الموت والقبور يوقظ النفس من الغفلة ويحفزها على السعي نحو الكمال الروحي. زيارة القبور إذن ليست مجرد عبادة شكلية، بل وسيلة للتأمل الفلسفي في الحياة والموت والغاية من الوجود.

٢. المساواة الإنسانية أمام الموت

الفلسفة الإسلامية ترى في القبور تذكيرًا بأن الموت يأتي لكل البشر بغض النظر عن الطبقة الاجتماعية أو القوة أو المال. وهذا يعزز قيمة العدالة والمساواة بين البشر. زيارة القبور تجعل الزائر يدرك أن كل إنسان مهما علا مكانه في الدنيا سيصير تحت التراب، مما يرسخ التواضع والاعتبار بالآخرين.

٣. العلاقة بين الحياة الدنيا والآخرة

من منظور فلسفي، زيارة القبور تربط بين الحاضر والمستقبل: الحاضر يتمثل في حياة الزائر واهتمامه بالميت، والمستقبل في الحساب والآخرة. هذا الربط الفلسفي بين الزمن والمصير الإلهي يخلق وعيًا مستمرًا بالمسؤولية الفردية تجاه أعماله، ويحفز على التوبة والصلاح.

٤. أثر الفلسفة الروحية على النفس

الزيارة تمنح الزائر فرصة للتأمل الذاتي، والتصالح مع فكرة الفناء، وتجديد العهد مع القيم الدينية والأخلاقية. الفلاسفة المسلمون يرون أن هذه الممارسة تعزز الحكمة العملية: القدرة على استخدام المعرفة الروحية لتوجيه السلوك الشخصي والاجتماعي نحو الخير.

٥. البعد الرمزي والتذكيري

زيارة القبور تحمل رمزية عميقة:

القبر رمز للحق والعدل الإلهي.

الوقوف عند القبور يذكّر الإنسان بالمسؤولية أمام الله.

الدعاء للميت يرمز إلى التواصل الروحي بين الحياة الدنيا والآخرة.

الخلاصة الفلسفية: زيارة القبور، إذا تمت وفق الشريعة والنية الصادقة، ليست مجرد عبادة شكلية، بل تجربة فلسفية وروحية شاملة تُعزّز التأمل، التواضع، والتفكر في الغايات الكبرى للوجود البشري.

التحليل العقلي والديني

الدليل العقلي

يمكن الاستدلال على مشروعية زيارة القبور بعقلية منطقية: المقصود من العبادة: زيارة القبور نوع من العبادة، يهدف إلى تربية النفس على الصبر والرحمة، وهذا ينسجم مع العقل السليم الذي يقدر تأثير الأفعال على النفس والمجتمع.

العبرة والاعتبار: رؤية الموتى وقراءتهم القرآن والدعاء لهم يغرس في الإنسان الاعتبار بمصيره، وهو هدف تربوي عقلاني. تحقيق المصلحة الدينية والنفسية: زيادة التعلق بالقيم الدينية وتخفيف الخوف من الموت أمر عقلاني ومرغوب فيه شرعًا.

الدليل الديني

القرآن الكريم لم ينهى عن زيارة القبور، بل نُهي عن الوقوف على قبور المنافقين، مما يدل ضمنًا على جواز الوقوف على قبور المؤمنين. الأحاديث النبوية تحث على زيارة القبور وتذكر الإنسان بالآخرة، وتوضح كيفية الدعاء للميت، وهو دليل شرعي صريح.

الرد على الاعتراضات الشائعة

الاعتراض الأول: الخوف من البدعة أو الشرك: يرى بعض العلماء أن البدعة تكون حين يُقصد بالمقبرة الغلو في الدعاء أو العبادة غير المشروعة. بينما زيارة القبور بالسلام والدعاء والاعتبار لا تدخل ضمن هذا الخطر.

الاعتراض الثاني: المشقة في السفر خصيصًا للزيارة: ابن تيمية وبعض الحنابلة اعتبروا أن السفر فقط لأجل زيارة القبور بلا نية دينية قد يكون غير مستحب، لكن زيارة القبور مع العبادة أو الدعاء أو تعليم الناس جائزة ومفضلة.

الاعتراض الثالث: هل يسمع الموتى؟: الروايات، خصوصًا عن الإمام الصادق عليه السلام، تبين أن الأرواح تسمع زيارة الأحبة ويستأنسون بها، مما يعزز الجانب الروحي والطمأنينة النفسية للزائر.

الأثر النفسي

السكينة والطمأنينة: زيارة القبور تخلق شعورًا بالسكينة والارتباط الروحي بالمتوفى.

تخفيف الحزن: الدعاء للميت والقيام بالزيارة يخفف من وحشته ويشعر الزائر بالارتياح النفسي.

زيادة اليقظة الروحية: تذكير الموتى يعزز تقوى الإنسان ويجعله أكثر حرصًا على الأعمال الصالحة.

الخاتمة

من خلال ما تقدم من دراسة وتحليل للنصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، وسيرة الصحابة والتابعين، وأقوال الفقهاء من مختلف المذاهب، يتضح أن زيارة القبور:

مشروعة شرعًا: لم يرد نص قرآني يمنعها، وأحاديث النبي ﷺ تؤكد استحبابها وتعليم الزائر كيف يتوجه بالدعاء والاعتبار.

مهمة تربويًا وروحيًا: تعمل على تذكير الإنسان بالموت والآخرة، وتعزز قيم الرحمة والتواضع والاعتبار بالموتى.

ذات أبعاد فلسفية: تزود الزائر بتأمل وجودي، وتربطه بين الحياة الدنيا والآخرة، وتدعم التفكير الأخلاقي والحكمة العملية.

أبعاد اجتماعية وثقافية: تقوي الروابط الأسرية والمجتمعية، وتعمل على نقل التراث الديني والثقافي للأجيال الجديدة.

كما أظهرت الدراسة أن الخلافات بين العلماء تتعلق فقط ببعض التفاصيل الفرعية، مثل السفر خصيصًا للزيارة أو أداء طقوس معينة، بينما هناك اتفاق واسع على المشروعية العامة للزيارة والدعاء للميت وقراءة القرآن عند القبور. إن زيارة القبور، إذا التزم الزائر بالضوابط الشرعية وبالنية الصالحة، تُعتبر سُنّة مؤكدة تجمع بين العبادة، والعبرة، والروحانية، والفلسفة الأخلاقية، والبعد الاجتماعي، مما يجعلها ممارسة متكاملة الأبعاد في حياة المسلم.

المراجع

ابن فارس، أحمد بن فارس، (١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م)، معجم مقاييس اللغة، بيروت: دار الفكر
الطريحي، فخر الدين، (١٣٧٥هـ ش)، مجمع البحرين، مطبعة مرتضوي
مسلم بن الحجاج، (١٣٣٤ق)، صحيح مسلم، تركيا، اسطنبول: دارالطباعة العامرة
النووي، يحيى بن شرف، (١٩٩٦م)، المجموع شرح المهذب، بيروت: دارالفكر
مبارك فوري، محمد عبد الرحمن، (١٤١٠ هـ)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، بيروت: دارالفكر.
ابن تيمية، احمد بن عبدالحليم، (١٤٢٥ق)، مجموع الفتاوى، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف،
الطبري، محمد بن جرير، (١٣٨٧ق)، تاريخ الطبري، بيروت: روائع التراث العربى.
القرطبي، الإمام، (٢٠٠٦م)، الجامع لأحكام القرآن، بيروت: دارالفكر.
الزمخشري، فخر الدين،(١٩٨٧م)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل، بيروت: دار الفكر.
شيخ صدوق، (١٣٦٣)، من لا يحضره الفقيه، قم: ايران
ابن عبد البر، (١٩٩٣م)، الاستذكار، بيروت: دارالوعى
ابن حنبل، احمد، (١٩٦٩م)، مسند، القاهره، دارالمنهاج